لماذا يصعب تغيير نظرة الإنسان إلى الواقع الأرضي؟

في كل صباح، يستفيق الإنسان من واقع عالم الباطن ليدخل واقعاً آخر من نسيج الفكر وحواس الظاهر.. والإنسان الساعي إلى مراقي التطور لا يرضى أن يُحيك له شعاع الصباح الجديد إلا رداء واقع مختلف عن سابقه، يعكس حقائق جديدة، ويضفي على التطور نكهة التجدد.. أما الإنسان العادي، فنرى أيامه تتشابه، ينهي نهار عمل ليبدأ بمثيله... يعيد الأفكار نفسها والأخطاء نفسها، وكأن فكره تخدّر وعزيمته استسلمت للرتابة اليومية.

الواقع الأرضي
لوحة من نسيج العقل

بقلم زياد دكاش
www.esoteric-lebanon.org
Ziad.Daccache@yahoo.com

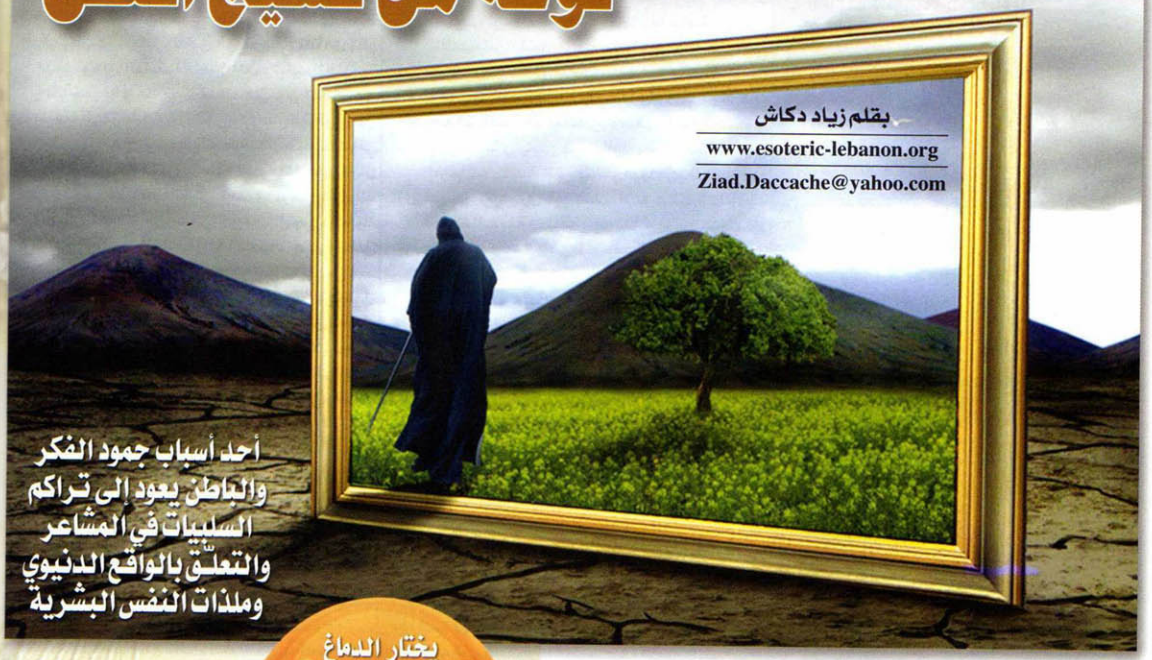

أحد أسباب جمود الفكر والباطن يعود إلى تراكم السلبيات في المشاعر والتعلّق بالواقع الدنيوي وملذات النفس البشرية

أحد أسباب هذا الجمود على صعيد الفكر والباطن يعود إلى تراكم السلبيات في المشاعر والفكر، والتعلّق بالواقع الدنيوي وملذات النفس البشرية. سبب آخر، قد يكون في اتخاذ المرء منحىً أنانياً في التصرف اليومي الذي يخلو من مبادرة الاحتكاك الإيجابي مع الآخرين. بذلك يسود الجمود على تفكيره، فيبقى في معزل من رسائل ذاته الإنسانية التي تنعش الكيان والفكر بومضات التجدد والإبداع.

وهناك سبب آخر أساسي يجعل من الإنسان أسيراً لواقعه الدنيوي ألا وهو الجهل - جَهله لطبيعة الواقع الذي يحيط به. فالإنسان العادي قلما يتساءل عن ماهية الواقع من حوله لأنه يشعر أن ذلك الواقع حتمي وثابت، يتحكم به ويؤثر على حالته النفسية واختياراته وتصرفاته. إلا أن العكس هو الصحيح. فحالة الإنسان النفسية، وتصرفاته والتفاعلات الداخلية في كيانه هي المحرك الأساسي في حياته، لا بل إنّ الأحداث والواقع الذي يحضنها ليسا سوى نتيجة لتلك التفاعلات الداخلية في كيان الإنسان..

يختار الدماغ ما يتناسب مع وعيه، وما يتوقعه ويقبل به.. أي ما يعتقده ممكناً وفقاً لمستوى التفكير والوعي

الذكاء والتجربة

كتاب الإيزوتيريك «تعرف إلى ذكائك» يفيدنا في صفحة 33 أن «الذكاء هو الذي يدفع التجربة إلى الحدوث في حياة المرء كلما احتاج وعيه أن يختبر أمراً جديداً عليه». ويفسّر الكتاب هذا الأمر تقنياً كي لا يبقى المفهوم في نطاق الفلسفة النظرية، فيضيف: «... تعبُر في الجسم العقلي موجات من ذبذبات سالبة، أو غير مفعّلة تجتذب ذبذبات خارجية موجبة تتناسب ودرجة تذبذبها... ومع التقاء الذبذبات السالبة والموجبة، وتفاعلها، تنجم عنها صورة متكاملة لتجربة عملية مادية في حقل الواقع الأرضي في حياة المرء».

إن باطن الإنسان كالبحر يُصدر أمواجاً تلاطم شاطئ وعي الظاهر، هي صور عقلية مقترنة بأحداث الحياة التي اجتذبتها. وتنبسط تلك الأمواج على شاطئ الوعي لتشكل رقعة سطحية ندعوها بالواقع. إن إدراك الإنسان العادي يبقى محدوداً في نطاق هذا الواقع السطحي، وكأن الأعماق ترهبه أو لا تسترعي انتباهه، أو حتى أنه يرفض في بعض الأحيان أن يعترف بوجودها...

ولو أدرك أن رقعة الواقع هذه تتغيّر مع كل موجة من أمواج ذبذبات العقل لتغيّرت نظرته ومفهومه للواقع من حوله، فكيف بالحري لو أدرك أنه هو محرّك تلك الأمواج، وأنه هو الشاطئ وهو البحر أيضاً!؟

انعكاس نظرتك إلى الواقع

نظرة الإنسان العادي إلى الواقع تنعكس أيضاً على الصعيد الظاهري الخاص بالحواس المادية. فالمرء غالباً ما ينظر من دون أن يبصر، ويسمع من دون أن يستمع... غالباً ما تمرّ لوحات الواقع من حوله مرور الكرام دونما ملاحظة التفاصيل أو الفوارق... كمَنْ ينظر إلى الفضاء في كل ليلة، فيرى اللوحة نفسها ولا يدرك الفارق في وضعية النجوم... وحتى اللوحات الفكرية في ذهنه تتوارد في الحياة اليومية من دون أن يدرك أو يتذكر معظمها... إن الأبحاث العلمية تشير إلى أن الدماغ عادةً يختار ما يتناسب مع وعيه، وما يتوقعه ويقبل به... أي أياً ما يعتقده ممكناً وفقاً لمستوى التفكير والوعي الشخصي... فيما لو حاول المرء تطوير ذلك المنظار الشخصي، والتبصّر بانفتاح وتجرّد، لتنبّه إلى مسائل جديدة وإمكانيات لا متناهية، لم تدخل واقعه من قبل، أو دخلت ولم يعرها اهتمامًا.

إن كانت حاسة البصر التي تترقب أدنى التفاصيل بتركيز وفكر متوثب تغتني دقة الملاحظة وتوسّع أفق الرؤية، فكيف بالحري التبصّر والبصيرة؟! من هنا، وجُب توجيه الانتباه والترقب إلى الخارج والداخل معاً، والربط بين الاثنين... ولا شكّ أن حركة إغماض العينين اللاإرادية عند التفكّر بحلّ مشكلة أو عند محاولة تذكر شيء ما، ليست اعتباطية، بل هي محاولة لاإرادية لحجب صورة الواقع الظاهري عن المدارك لتلتقُّف ما قد يصدر من الباطن من رسائل أو أفكار.

تغيير الواقع الأرضي

قد يتساءل البعض، لماذا يصعب تغيير نظرة الإنسان إلى الواقع الأرضي، فيبقى لديه بعض التردد والشك حول طبيعة ذلك الواقع، بالرغم من الإرشادات والتوضيحات؟ إن نظرة المرء المحدودة إلى ماهية الواقع من حوله، متوارثة منذ أزمان وقابعة في جذوره منذ نعومة أظافره. هذا والمنهج الدراسي الأكاديمي بمختلف علومه يعمّق ترسيخها فيه. فالفيزياء الكلاسيكية على سبيل المثال، قد لا تتطرق مباشرة إلى مفهوم الواقع، إلا أنها تشرح أن المادة ومكوناتها جامدة وثابتة لا علاقة لها بالإنسان أو بأجهزة وعيه... فيتلقى طلاب المدارس نموذج جماد المادة وأشكال ذراتها وخصائصها... ويتأسس الفكر على هذه الثوابت الوهمية، فيصبح من الصعب تخطّيها فيما بعد. إن وجزئياتها جراء التجارب بهدف تبسيط المفهوم.. لكنهم ما لبثوا أن أسروا تطلعاتهم في ذلك التبسيط، حتى بعد أن تطوّر العلم ليكتشف حقول الطاقة ومؤشرات تدل على وجود جوهر ذبذبي لامادي. ولا يزال الكثير من العلماء يرفضون البحث في إمكانية وجود طاقة ذبذبية لامادية في جوهر الذرة. فبقوا على شاطئ كثافة المادة، وابتكروا أشكالاً للذرة ونظريات تبرر وجهة نظرهم.. مع انه حتى اليوم لم يرَ أي عالم شكل جزيئات الذرة، لا على المكبّر (المجهر) ولا بأية وسيلة أخرى!

مثالاً على ذلك، لقد لاحظ العلماء أن الإلكترون يختفي ويظهر في مواقع مختلفة حول نواة الذرة. وبدل الاستنتاج أن الإلكترون يتحوّل إلى طاقة غير مرئية، ثم يتمظهر من جديد في شكل مادي، لجأوا إلى مبرر آخر نظري، وهو أن وجود الالكترونات يخضع لمبدأ الأرجحية (probability). ففسروا الماء بالماء، بل وطمسوا الحقيقة بوهم آخر، وبقوا متمسكين بمفهوم جماد الذرة وبنظرة مادية محض إلى الواقع ومكوناته...

أما الإيزوتيريك فيفيد أن المادة تعجّ بالحركة، كما وأن جوهرها ذبذبي متصل بأجهزة وعي الإنسان. والواقع المادي من حولنا ليس سوى رحلة الذبذبة في رداء الذرة.. وفي هذا السياق، أستشهد بالمقطع التالي من كتاب الإيزوتيريك «وجدانيات» صفحة 56 :

«واتخذت الحياة قاعدة لها
هي عالم المادة،
قاعدة لرحلة جديدة،
رحلة الذبذبة في الذرة...
حقيقتها ارتفاع من لون إلى نغم
إلى انتظام نغم
يتناغم مع رقم،
رقم يعي معادلة الحركة
وقوامها ذبذبة
تلتحق بالنور».

باطن الإنسان كالبحر يُصدر أمواجاً تلاطم شاطئ وعي الظاهر، هي صور عقلية مقترنة بأحداث الحياة التي اجتذبتها

الإنسان العادي قلما يتساءل عن ماهية الواقع من حوله لأنه يشعر أن ذلك الواقع حتمي وثابت لا يتغير

إن حركة إغماض العينين اللاإرادية عند التفكّر بحلّ مشكلة أو عند محاولة تذكر شيء ما.. ليست اعتباطية

فكرة الجماد هذه، تزيد من جمود الفكر والاستسلام لواقع ثابت... لذلك بات ضرورياً تعديل المنهج الدراسي كخطوة أولى للمساعدة على انفتاح فكر الأجيال الصاعدة على آفاق تتخطى الواقع المادي..

الأشكال الرمزية للذرة

لقد استنتج بعض العلماء أشكالاً رمزية للذرة

وفي الصفحة نفسها (56) من كتاب الإيزوتيريك «الزمن والنسبية والباطن...»، ورد أن «أصل المادة من حولنا صور ذبذبية تفاعلت في العقل الإنساني وانطبعت في اللوحات الأثيرية، ثمّ تمظهرت في كثافة الذرات الثلاثية الأبعاد في شكل تدركه الحواس».

تغير لوحة الواقع

إن لوحة الواقع من حولنا تتغيّر مع كل صورة من الصور العقلية التي تتتالى على شاشة الوعي، مع أن المرء يعتقد أنها ثابتة وجامدة بسبب تسارع الصور العقلية. نفهم ذلك من خلال مثل المصباح الكهربائي، الذي يبدو لنا أنه في ضياء مستمر، إلا أن علوم الفيزياء والكهرباء تشرح أن هذا المصباح ينطفئ ويضيء حوالي خمسين أو ستين مرة في الثانية ولكن المراقب لا يلحظ ذلك... والأمر نفسه ينطبق على مثل شاشة الكمبيوتر والتلفزيون، وغيرها من الاكتشافات التي استلهمت طريقة عملها من نظام تكوين الإنسان.

ولمن يعتقد أن في الأمر مبالغة باعتبار أنه لا يشعر بحركة الصور التي تشكل لوحة الواقع من حوله... نسأله إن هو يشعر بحركة الأرض وهي تدور حول الشمس؟ كي لا نقول حركة الشمس أو حركة المجرة؟!

الواقع متحرك وليس جامداً

إذاً، الواقع الأرضي من حولنا متحرك وليس جامداً، لكن بُعد المكان فيه يتخذ أشكالاً كثيفة لتدركها الحواس بعد أن حالت درجة الوعي دون تمكّن المرء من إدراك الجوهر اللامادي مباشرةً. لكن تلك الكثافة في حركة دائمة وإلا لما تفاعلت معها الحواس. لذلك على المرء أن يميّز بين الكثيف والجامد.. وشتان بين الاثنين.. وعليه أن يدرك وجود الحركة في كثافة المادة من جهة، وفي جوهرها اللامادي من جهة أخرى، ويفهم علاقة الكل بأجهزة وعيه لا سيما جسمه العقلي!

إمكانية الإنسان الكبيرة

مفاد هذا الشرح، أن إمكانيات الإنسان لا متناهية في الواقع الذي يحتضنه. وهذا الواقع نسبي يتعدّل وفقاً لأعماله وأهدافه وتطور أجهزة وعيه اللامادية، التي إن انفصلت عن الواقع المادي، تلاشى هذا الأخير كما تتلاشى الصورة عن شاشة الحاسوب (الكمبيوتر) أو شاشة التلفزيون عند انفصالها عن الجهاز الأساسي إذ إنها ليست سوى انعكاس للرسائل الكهرومغنطيسية في الجهاز... كما الواقع هو انعكاس للرسائل الذبذبية في أجهزة وعي الإنسان.

إمكانيات الإنسان لا متناهية في الواقع الذي يعيش فيه. وهذا الواقع نسبي يتعدّل وفقاً لأعماله وأهدافه وتطور أجهزة وعيه اللامادية

ماذا يعكس الواقع؟

إن الواقع يعكس دائماً حقيقة ما، ومن الضروري فهم طبيعة ذلك الواقع لإدراك الحقيقة التي انعكست فيه والارتقاء إلى واقع آخر.. لكن في بعض الأحيان تهيمن الصفات السلبية على الوعي، فتحدث تشويشاً في صور الواقع. لذلك، قبل تقييم واقعه الأرضي، من الأفضل أن يلجأ المرء إلى حال تأمل عميق، أو سلام داخلي شامل، أو يرتقي بذبذبة الفكر ويكتسب حال هدوء باطني. من عُلِيّ ذلك الحال، سيفهم أسباب الازدواجيات العديدة، ويُلهَم بالحلول والإمكانيات الجديدة لتحسين واقعه... سيتفهّم واقع الأشخاص الآخرين من منظار متجرّد، وفي حال من الشعور المرهف... وسيحدد أسباب الجمود وتخدير الفكر في بعض مجالات حياته لاستبدالها بالتجدد والإبداع والابتكار أيضاً..

مغامرة الحياة

إن حياتنا مغامرة ترويها لنا الذات الإنسانية في لوحات أثيرية، بطلها أنفسنا البشرية. في كل لوحة يتجسد واقع يحضن صفحات عديدة من الأحداث والصور العقلية. قد يبدو ذلك الواقع شاسعاً في بعض الأحيان إلا أنه يبقى صنيعة الذات... فهو، مهما اتسع، لا يحوي سوى نفسه، فيما الإنسان يحوي بُعد ذلك الواقع وأبعاد أخرى لامتناهية.. لا شكّ أن مفهوم الاحتواء هذا يحرر الإنسان من وهم الجمود والأسر، ويجسد مفهوم الحرية الأرضية في منتهاها!

وفي الختام، أذكر مقولة جبران خليل جبران في كتابه «رمل وزبد»:

«يقولون في يقظتهم: ما أنت والعالم الذي تعيش فيه سوى حبة رمل على شاطئ غير متناه لبحر غير متناه.

وفي حلمي أقول لهم: أنا هو البحر غير المتناهي، وما جميع العوالم سوى حبات من الرمل على شاطئي».

أصل المادة من حولنا صور ذبذبية تفاعلت في العقل الإنساني وانطبعت في اللوحات الأثيرية

لوحة الواقع من حولنا تتغيّر مع كل صورة من الصور العقلية التي تتتالى على شاشة الوعي